

## فلسطين في القلب

إعداد زياد هندي

باستخدام التغريدات عبر برنامج «توتّر» لنشر رسائلهم.

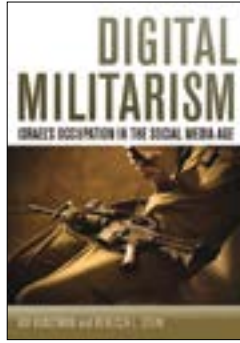
وفي أعقاب هجوم جيش العدو على سفينة مرمرة، قام الجانب الصهيوني بنشر صور وتسجيلات مزورة تدعم الرواية الإسرائيلية الكاذبة عما حدث.

يصوب الكتاب اهتمامه إلى الجانب المدني لاستخدام الميديا في الحرب وجلب أمثلة عديدة منها قضية المدون الإسرائيلي إبن أبرجيل، الذي نشر صوراً للإذلال الذي يتعرض له الفلسطينيون على أيدي قوات العدو، ما أثار ضجة في إسرائيل واستنحال المدون ضحية مثل الفلسطينيين. هذه الحادثة تظهر أن استخدام الميديا الاجتماعية يمكن أن يكون فاعلاً في فضح ممارسات العدو.

وفي مجال آخر، وفي فصل «الفلسطينيون لا يموتون»، يقوم بعض الإسرائيليين بمحاربة الرواية الفلسطينية عن الاغتصاب الصهيوني لفلسطين وطردها منها عبر زرع بذور الشك فيها والإدعاء بعدم صحة المعلومات المصورة الواردة فيها!

مناقشة الكاتبين الرسائل في الميديا الاجتماعية أظهر أن التطرف والعنصرية اللذين كانا من صفات اليمين المتطرف هما صفتان لصيقتان بالمجتمع الإسرائيلي على نحو عام.

كلمة أخيرة، لقد حذر علماء الاجتماع من الاحتلال الاجتماعية لأنها ليست وسيلة ديمقراطية، أي ليست بتعددية. فمستخدم الميديا الاجتماعية لتلقي الأخبار والمعلومات يقصر مصادره على ما يناسبه، ينبذ حتى محاولة الاستماع إلى أي رأي مختلف.



### خلال عدوان تموز، سجّل «حزب الله» انتصاراً في الحرب الرقمية

أما العدوان الصهيوني على «حزب الله» عام 2006 فقد شكّل، وفق المؤلف، نقطة تحول. خاض الطرفان حربين، على الأرض وفي الفضاء الافتراضي، انتهت وفق المراقبين بانتصار «حزب الله» في الحرب الرقمية حيث تمكن من إيصال رسائله السياسية إلى المجتمع الصهيوني.

أما العدوان على القطاع المحاصر مصرباً إسرائيلياً مشتركاً، عام 2008/2009، فقد شهد أول محاولة إسرائيلية متناسقة لإرفاق الحرب المادية بأخرى رقمية حيث عملت على تأسيس قناة خاصة على اليوتيوب، وقام الرسمىون الإسرائيليون

(م)، ليشمل الفضاء الافتراضي، مقدماً بذلك الدعم للاحتلال المادي على الأرض الفلسطينية. ويرأى الكاتبين، فإن الميديا الاجتماعية قد استحوطت سلاحاً وأداة لا غنى عنهما في الحرب. بل إنها أضحت ساحة حروب العدو، تدعم الاحتلال وسياساته وتحاول إخفاء جرائمه. من المفيد لهذا العرض ذكر ترجمة المؤلف تعريف «الإحزاب الرقمية». يقول: «إنها عملية استحوطت عبرها منصات التواصل الرقمي والممارسات الاستهلاكية، في العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، أدوات حربية في أيدي الفاعلين التابعين لأجهزة الدولة أو من غير العاملين فيها، في حقل العمليات العسكرية والأطر المدنية».

على العكس مما يجري في بقية أنحاء العالم في هذا المجال، فإن الميديا الاجتماعية استحوطت في المجتمع الإسرائيلي - ودماً وفق المؤلف - إلى «سر عام» عن احتلال الأراضي الفلسطينية. بدلاً من أن تكون تلك الميديا وسيلة لنشر المعلومات، فإنها تمارس التضليل المعروف، فيغيب الشعب الفلسطيني ومعاناته وحقوقه غياباً كاملاً عن الميديا الاجتماعية الإسرائيلية.

يعطي المؤلف بعض الأمثلة على الحرب الدائرة في الفضاء الافتراضي بين العدو الصهيوني من جهة، والمقاومين العرب من جهة أخرى، ومنها قيام هكرز العدو باختراق صفحتي «حزب الله» و«حركة حماس» في الإنترنت، أعقب ذلك اختراق المقاومين لصفحات وزارة حرب العدو والكنيست ومؤسسات مالية أميركية وإسرائيلية.

والأكاذيب طبعاً، حتى إنّها تفوقت من ناحية الأهمية على وسائل الإعلام/التضليل التقليدية، وقد رأينا ذلك في ما يسمى الربيع العربي، وكذلك إبان العدوان الصهيوني على قطاع غزة المحاصر إسرائيلياً، ومصرباً، وهو الأمر المفجع لأنّ ظلم الأقربين أشد، وإبان العدوان الصهيوني على لبنان من قبل، ولا ننسى التذكير بالحرب في سوريا وعليها.

وإذا كانت هذه الوسائط الاجتماعية تمارس دوراً مهماً في التواصل بين الأفراد والجماعات، فإن فوائدها وأضرارها تعتمد على كيفية تفعيلها، وعلى الأفراد والجماعات التي توظفها. من هذا المنظور، فإنّ هذا العمل، الذي يتناول بالبحث والتحليل دور الوسائط في الصراع العربي-الصهيوني، يعدّ ريادياً، وضرورياً لكل من يعد نفسه مهتماً بهذا الصراع.

المؤلف يوضح العلاقة بين الميديا الاجتماعية من جهة والسياسات الإحزابية (militarism) لجنود العدو الصهيوني والسكان والمسؤولين في كيان العدو وقادته. بمتابعة الرسائل التي ينشرونها، يتأكد القارئ أنّ الفضاء الافتراضي استحوطت ساحة حرب إضافية يشنها العدو على الشعب الفلسطيني، ويفاخر بجرائمه علانية، بهدف كسب المزيد من التأييد لسياساته العدوانية العنصرية.

أدي كُنْتْسْمَن المحاضرة في المعلومات والتواصل في «منشآت متريلت يُنفرستي»، وريكّ شتاين أستاذة مساعدة لأنثروبولوجيا في «جامعة ديوك»، توضحان تمدد الاحتلال الإسرائيلي للأراضي الفلسطينية المحتلة عام 1967 - ز

أدي كُنْتْسْمَن، ريكّ شتاين، الرقمية الإحزابية: احتلال إسرائيل في عصر الميديا الاجتماعية. يحوي مجموعة من المصورات.

adi kuntsman - Rebecca Stein, Digital Militarism: Israel's Occupation in the Social Media Age. stanford university press, stanford 2015. 274 pp.

اختيارنا أربعة مؤلفات عن فلسطين، للعرض في هذا الملحق، أساسه أن شهر تشرين الثاني (نوفمبر) يشهد اليوم العالمي للتضامن مع الشعب الفلسطيني الذي أقرته معظم دول العالم في منظمة الأمم المتحدة التي قررت، في اليوم ذاته من عام 1947 قرارها الظالم وغير القانوني والاشري بتقسيم فلسطين ومنح الحركة الصهيونية أرضية «شرعية» دولية. أما اختيار المؤلفات فمرده في المقام الأول إلى أهميتها، لكن ليس بالضرورة الموافقة على كل ما يرد فيها. المهم في هذه المؤلفات ما يرد فيها من معلومات، لا التحليلات. إضافة إلى ذلك، فإننا اخترنا هذه المؤلفات لأن بعضها يتناول بالطرح والتحليل مواضيع لم يسبق تناولها من قبل، في مؤلفات عربية تحديداً.

ليس ثمة من شك في الدور الريادي، بل حتى الطبيعي، الذي تؤديه وسائل التواصل الاجتماعي/ الميديا الاجتماعية، في نشر الأخبار،

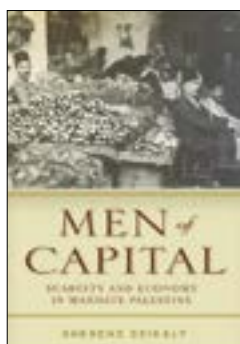
## تاريخ فلسطين من منظور الاقتصاد

الفلسطينيين من منظور التزامهم بالنضال الوطني التحرري ضد الغزو الاستيطاني الصهيوني والاحتلال البريطاني، وإنما قصرت بحثها على النشاطات الاقتصادية فحسب، وهذه مقاربة طليعية في كتابة قسم من تاريخ فلسطين (الانتداب)، الواقعة تحت الاحتلال الأنغلو- صهيوني، والمشاركين في النشاطات الاقتصادي رأوا أنهم يعدون مستقبلاً أفضل للأجيال القادمة!

وإذا نجح رجال الأعمال الفلسطينيين في وضع أسس اقتصاد وطني، فإنهم لم يتمكنوا من مواجهة المشروع الاستعماري لتسليم بلادهم إلى الغازي الصهيوني، المتحالف مع أعراب أنظمة سايكس- بيكو من بني عون عبر الأردن والعراق، إلى ملك مصر وقطعان أعراب جزيرة العرب من آل سعود وأتباعهم.

شيرين صيقلبي عملت على الاستعانة بمختلف المراجع الأصلية ومنها المجلات والصحف والدوريات والمراسلات والوثائق الرسمية التي كانت تصدر في فلسطين، ما منح عملها أصالة إبداعية.

يتناول الكتاب بالبحث تاريخ فلسطين الاقتصادي إبان الاحتلال البريطاني والهجرة الاستيطانية- الاستعمارية وتأثير ذلك في مختلف طبقات الشعب وفئاته، وهو الأمر الذي نبذته معظم الكتابات عن تاريخ البلاد في تلك المرحلة.



### بعض رجال الأعمال أكدوا تأثيرهم بالبريطاني آدم سمث

عدوا أنفسهم غربيين وعملوا على «غربيّة» حيواتهم وتصرفاتهم، وبالتالي تغربهم عن أبناء جلدتهم وشعبهم، الذي ادعوا أن نشاطهم الاقتصادي هو من أجله!

غالبية رجال الأعمال الفلسطينيين وفق المؤلف، اهتموا، وفق أقوالهم، بتأسيس اقتصاد وطني قائم على أسس حديثة وحدائية، ولذلك فإنهم منحوا أنفسهم حرية الاستعانة بما رواه من أفكار مفيدة، من آدم سمث إلى الغزالي وابن خلدون. انطلاقاً مما سبق، فإن الكتابة لم تقيّم نشاطات رجال الأعمال

الأرستقراطية! تنوّه الكاتبة إلى حقائق أخرى متصلة بالتطور الاقتصادي وهي عدم اقتصار الانخراط الاقتصادي لرجال الأعمال على طبقة معينة، وإنما تجاوز الحدود التقليدية حيث اندمجت طبقات وفئات أخرى ومنهم الأطباء والمحامون، الذين مزجوا بين الاقتصادي والوطني- الثوري، وهو ما نبذته «مجلة الاقتصاديات العربية» التي صدرت في فلسطين المحتلة بين عامي 1936 و1937.

في الوقت نفسه، تشير الكاتبة إلى حقيقة أنّ بعض الرأسماليين أو رجال الأعمال، ميزوا أنفسهم من الشعب الفلسطيني، المعرض جميعه من دون استثناء، للاقتلاع من وطنه، عبر دعوات تفتقد إلى الحد الأدنى من الفهم والخجل، ومن ذلك الدعوة لمنع العمالة المنزلية من الاستماع لبرامج الإذاعات الأجنبية ذات التوجه الاشتراكي التي تحدثت عن حقوقهم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

الكاتبة تشير إلى أن بعض رجال الأعمال الفلسطينيين أكدوا تأثيرهم بالاقتصادي البريطاني آدم سمث، لكن هناك من استعان بكتابات عرب ومنهم ابن خلدون، مشددين على الطليعية العربية لممارساتهم الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي فإنهم عدّوا أنفسهم اقتصاديين وليس سياسيين، رغم الدعم الذي قدمه بعضهم للثوار كما أسلفنا.

في الوقت نفسه، فإن الكتابة توضح أن بعض رجال الأعمال

يكن بإمكان رأس المال الفلسطيني، النامي، مواجهة مشاريع ضخمة مثل شركة الكهرباء، في مجتمع وبلاد انتقلت من خلف العهد العثماني إلى مرحلة استعمار غربي متوحش مدعوم من أنظمة سايكس- بيكو الأعرابية المتخلفة، هدفه محو اسم فلسطين وتفتيت المجتمع الفلسطيني.

شيرين صيقلبي، المحاضرة في التاريخ في «جامعة سانتا بربرا» في ولاية كاليفورنيا، تنوّه إلى حقيقة أن موقف الاقتصاديين أو الرأسماليين الفلسطينيين من الانتفاضات والثورات فيها - وعلى العكس من بعض الادعاءات - لم يكن دينياً. على سبيل المثال، وقفت عائلة النشاشيبي المسلمة والرأسماليان إميل بوتاجي وجاد سويدان المسيحيان ضد ثورة عام 1936، لكن رجال أعمال مسلمين مثل أحمد حلمي باشا، والمسيحي فؤاد سابا دعما الثورة ودعيا إلى الانخراط فيها. بل إن الأخير شكّل

أول مؤسسة تدقيق حسابي في فلسطين وشرقي المتوسط بما في ذلك دمشق وبيروت وبغداد، وهو مؤسس شركة «طيران الشرق الأوسط» التي انتقلت بعد اغتصاب فلسطين عام 1948. هنا افتقدنا إلى عدم قيام الكاتبة بالبحث في الأسباب الحقيقية لمواقف معارضي الثورة، التي هي برأينا، اقتصادية وارتباط الطرفيين بالاستعمار البريطاني الذي منحهما مواقع الوكلاء في السلطة، العميلة طبعاً، علماً بأن بعضهم عد نفسه من

شيرين صيقلبي: الرأسماليون: الندرة والاقتصاد في فلسطين الانتداب.

Sherene Seikaly, men of capital: scarcity and economy in mandate palestine. stanford university press 2015. 276 pp.

هذا المؤلف مخصص لعرض تاريخ فلسطين من منظور الوضع الاقتصادي فيها في ثلاثينيات القرن الماضي وأربعينياته، الخاضعة لاحتلال الاستعمار البريطاني بدءاً من يوم 1917/11/02، الذي أسس لكيان العدو الصهيوني وسهل له إقامة قواعد اقتصادية واجتماعية وعسكرية وفكرية وغيرها. الكاتبة شيرين صيقلبي، توضح في مؤلفها الطليعي خطأ النظرة الاستشراقية إلى وضع الفلسطينيين الاقتصادي في وطنهم المحتل، الذي يدعي - عن غير حق، الأمر الذي يتأكد في مؤلفها - أنّ الغزاة الصهاينة هم الذين وضعوا أسس الاقتصاد، لكن من دون نفي حقيقة عدم مقدرة الرأسمال الفلسطيني الوطني على منافسة رأس المال اليهودي- الصهيوني، الذي فتح الاستعمار البريطاني له أوسع الأبواب لممارسة نشاطاته في الوقت الذي وضع كافة ما أمكن من عراقيل لمنع نمو اقتصاد فلسطيني منافس أو حتى مستقل. على سبيل المثال، لم